المحاضرة الخامسة: جماعة الديوان

المدة: ساعة

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية (ليسانس)

تمثل مدرسة الديوان التيار التجديدي الذي كان معاصرا للتيار المحافظ المتمثل في مدرسة الإحياء، ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين على يد الثلاثي: عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري، إثر صلات فكرية قامت بين أفرادها. وقد أدى تأثر أصحاب مدرسة الديوان بالثقافة الإنجليزية على وجه الخصوص إلى تعرفهم على أهم الشعراء الإنجليز، والرومانسيين منهم بصفة خاصة، أمثال: شلي وبيرون، كما أعجبوا أشد العجاب بالناقد الإنجليزي "هازلت"، لدرجة أنهم اعتبروه إمام مدرستهم الجديدة، حيث أخذوا منه معاني الشعر، والفنون، وأغراض الكتابة، وغيرها من القضايا النقدية الجديدة التي أثيرت في تلك الفترة.

-أصل التسمية:

تعود تسمية المدرسة إلى الكتاب الذي ألفه العقاد والمازني "كتاب الديوان في الأدب والنقد"، حيث تضمن مبادئ المدرسة وأسسها ومذهبها الجديد، كما حُددت فيه أهداف المدرسة، ذلك ما يتضح جليا في قول العقاد: "وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي".

-التأثر بالمذهب الرومانسي:

الرومنسية مذهب أدبي ظهر في أوروبا في القرن التاسع عشر، يهتم بالخيال والعواطف الإنساينة، جاء كرد فعل على الكلاسيكية التي سيطرت على الآداب لفترة طويلة من الزمن، وكانت كتاباتها موجهة لطبيقة ارستقطراطية تعيش في أكنافها، فكانت الرومانسية

بمثابة ثورة تحررية للأدب من أغلال المذهب السابق. وقد ساهمت الثورة الفرنسية التي عززت من دور الفرد في المجتمع في انتشار المذهب الرومانسي في كافة أنحاء العالم، ولقي رواجا كبيرا لدى الشعوب لكونه نشأ في كنف الألم الإنساني.

ومن أبرز خصائصها: التعبير عن الذات الإنسانية في أفراحها وأحزانها، ويعد الشعر السبيل الأمثل لذلك، كما ترفع الرومانسية من قيمة العاطفة وتعتبرها هي روح وجوهر الشعر، وتعد الطبيعة الملاذ الآمن للشاعر، حيث يتغنى بها وبجمالها، ويجد فيها راحته ومتعته في التنفيس عن آلامه ومعاناته.

ويبدو أن رواد مدرسة الديوان قد وجدوا ضالتهم في هذه المبادئ الرومانسية، لاسيما إذا عرفنا أن تلك الحقبة التي كان يمر بها العالم العربي، كانت حقبة سوداء، بسبب القيود والأزمات التي فرضها الاستدمار على بلدانهم، والذي سعى جاهدا وبكل الطرق إلى تحطيم وتدمير الشخصية العربية الإسلامية، عن طريق نشر الفوضى والجهل بين أبنائه. الأمر الذي جعل رواد هذه المدرسة يستشعرون المسؤولية الحضارية الملقاة عليهم، إذ أنهم يمثلون الشباب العربي بكل آلامه وطموحاته المكسورة أمام هذا الواقع الأليم، الذي عجزوا عن تغييره ولم يجدوا منفذا آخر سوى الهروب إلى عالم الأحلام، وإلى الطبيعة ليبثوها مآسيهم.

-خصائص مدرسة الديوان:

أ/ الموضوعية:

- الدعوة إلى الإبداع والتجديد في الشعر.
- الدعوة إلى المزج بين الجانب الفكري والوجداني.
- التعبير عن الذات الإنسانية في فرديتها وتميزها.
- الانفتاح على الأدب الغربي.
- الاهتمام بعناصر الطبيعة وتصويرها تصويرا فنيا يعكس الحالة الشعورية للأديب.

- التحفظ على شعر المناسبات.

- التمرد على الأساليب القديمة المتبعة في الشعر العربي .

ب/الخصائص الفنية:

- تمثل القصيدة وحدة عضوية فهي كالكائن الحي يؤدي كل عضو وظيفته.

- استعمال لغة ملائمة لمعطيات العصر.

- التحرر من نموذج القصيدة العمودية.

وتجدر الإشارة إلى نقطة هامة في هذا الصدد، وهي رغم انفتاح جماعة الديوان على الثقافة الغربية وتشبعهم بمبادئها وأسسها إلا أن ذلك لم يكن يعني انفصالهم عن التراث أو هجرهم للأدب القديم، بل كانوا ذواقين لروائع هذا الموروث الضخم الذي خلفة الأجداد، وسعوا لقراءته بنظرة معاصرة تتناسب ومستجدات العصر.

-العقاد والمازني في كتاب الديوان:

صدر كتاب الديوان عام 1921، ورأى مؤلفاه أن يصدراه في عشرة أجزاء، الأجزاء الأولى خصصت للنقد التطبيقي، أما الأجزاء المتبقية فتضمنت المبادئ الجديدة لهذا الاتجاه.

ويحدد العقاد موضوع الكتاب بوضوح في قوله: " إن موضوع كتاب الديوان هو الأدب عامة، ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد و الكتابة، وقد سمع الناس كثيرًا عن هذا المذهب في بضع السنوات الأخيرة، ورأوا بعض آثاره، وتهيأت الأذهان الفتية المتهذبة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي، فنحن بهذا الكتاب، نتمم عملاً مبدوءًا، وأوجدوا ما نصف به عملنا، أنه إقامة حد بين عهدين"

بيد أن الكاتبين انقطعا عند الجزء الثاني، مما دفع ببعض الدارسين إلى ترجيح فكرة أن الناقدين كان يستهدفان منذ البداية الغاية التي أوردها في الجزءين السابقين، وهي تحطيم

شوقي والمنفلوطي، زعيما الشعر والنثر التقليديين آنذاك، إضافة إلى عبد الرحمن شكري الشاعر والناقد المجدد، الذي انقلب عليه المازني وسماه "صنم الألاعيب" .

لقد هاجم العقاد والمازني في ديوانهما المنفلوطي وشوقي بعنف، مما يعكس بصدق عمق الصراع الناشب بين طموح الطبقة المتوسطة الكادحة التي كانوا يمثلونها، ويجسدون واقعها المرير الذي كانت تعيشه، وبين الطبقة التقليدية التي كانت تمثل الثقافة العالمة، لقد كان الناقدان يعيشان عصر تحول فكري كبير، حاولا تجسيده من خلال مؤلفهما الذي أحدث صوتا منقطع النظير في الحياة الأدبية.

-أهداف أصحاب الديوان:

ا/العلاقة بين الأدب والمجتمع: لقد سعى رواد هذه المدرسة إلى إعادة بعث روح جديدة في تلك الفئات من المجتمع التي استسلمت لليأس وفضلت الهروب من الواقع، وقد تجسدت هذه المساعي في محاولة إيجاد قارئ جديد متمرد ثائر، وقد ساعدت جملة من الأسباب على تحقيق هذه الغاية، أهمها:

- الانتشار المذهل للكتاب بين قراء الجيل الجديد وارتفاع نسبة المقروئية.
- طباعة مئات الكتب التي صيغت من طرف أقدر الأدباء والشعراء.
- ترجمة الكثير من الكتب الأجنبية.
- إطلاع الجيل الجديد على الكتب في لغاتها الأصلية.

ب/ التصوير الفني وعلاقته بالحياة:

كان العقاد يريد الشاعر الذي يشعر بجوهر الأشياء لا أن يعددها "فليس الشاعر من يزن التفاعيل ذلك ناظم أو غير ناثر، وليس الشاعر بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل، ذلك ليس بشاعر أكثر مما هو كاتب أو خطيب، وليس الشاعر من يأتي برائع المجازات وبعيد النظرات، ذلك رجل ثاقب الذهن، حديد الخيال، إنما الشاعر من يشعر ويُشعر"، فأساس الشعر هو الشعور والإحساس والشاعر الجيد من يستطيع أن ينقل تلك الشحنات الشعورية لمتلقيه.

ج/الصورة الفنية ووظيفتها في الشعر:

يقول المازني: "وهل الشعر إلا خاطر لا يزال يجيش في الصدر متى يجد مخرجا ويصيب متنفسا"، وليس الشعر عاطفة محضة حسب المازني، بل هي عاطفة ممزوجة بالفكر ونشاط الذهن فالشعر وجدان ورسالة ومتعة.

وهكذا يتضح جليا ما يريده أصحاب الديوان، إنهم يريدون الأدب الناطق بلسان النفس الإنسانية، المتحدث عن عمق الحياة وجمالها، المصور لعظمة الكون وبهجته.

د/الأصالة والتأثر بالغرب:

تذكرنا الآراء السابقة بمبادئ الرومانتيكية في أوروبا، تلك التي كانت تدعو إلى عودة الشعر إلى داخل النفس البشرية، وقد كانا الناقدان يتفقان مع الرومانتيكيين الغربيين في فهم وظيفة الشعر، التي خلاصتها الكشف عن الحقيقة الصارخة في حنايا النفس وهي تخوض غمار الحياة وتخالط آلامها وأحداثها وتهتز بأفراحها.

ورغم هذا التأثر الواضح بالرومانسية الغربية، إلا أن الناقدين العربيين تميزا برومانسية متفائلة تدعو إلى الإبتعاد عن اليأس.

هـ/وحدة العمل الفني:

تعرض العقاد لهذه القضية في أكثر من موضع وفي أجزاء كثيرة من كتاب "الديوان"، حيث يقول: "القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما، يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنه غيره في موضعه، إلا كما تغني الأذن عن العين، أو القدم عن الكف، أو القلب عن المعدة (...) ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية ولم تجدها فاعلم أنها قصيدة لا تنطوي شعور على كامل بالحياة"**.

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول أن القضايا النقدية التي جاء بها كتاب الديوان قد فتحت للمعاصرين من الأدباء والنقاد والمفكرين أبوابا جديدة في الفن وآفاقا جديدة في النقد.

** حلل قول العقاد السابق، موضحا مفهوم وحدة العمل الفني من منظور جماعة الديوان.